الكتاب الفضي

هروب النصف الآخر

لطفي النميري

مجموعة قصصية







هروب النصف الآخر

قصص أدبية قصيرة

لطفى سامى النميرى

وزارة الثقافة



وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

الكتاب الفضى: كتاب يصدر عن نادى القصة
بالتعاون مع الهيئة العامة لقصور الثقافة

• هروب النصف الآخر
• لطفى سامى النميرى
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
الطبعة الأولى 2013م
الهيئة العامة لقصور الثقافة
• رقم الإيداع: ١٠٨٨٤ / ٢٠١٢
• الترقيم الدولى: 5-392-718-977-978
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

هروب النصف الآخر

كيس ذهب

تحمل ثروت مشقة البحث عن الذهب، حتى أصبح عاشقاً لبريقه. كان وحيداً لوالديه يعيش فى قرية" منهرى" بـ"أبوقرقاص" بمحافظة المنيا، حيث يعمل فى الوحدة المحلية فراشاً بأجر ضئيل. كان يفكر وهو شاب فى الثلاثين وليس معه إلا شهادة محو الأمية كيف يتزوج. ومن أين يدفع المهر؟.

ومن تتزوجه وهو على هذه الحالة من الفقر؟. ومن هذه المحروسة التى تقبل أن تعيش مع أمه سميحة التى تسببت فى وفاة أبيه " مظلوم". فمات يوم دفعته بيدها إثر شجار عنيف لخلافات أسرية من على سطح البيت فأردته قتيلاً؟!. وقيدت الحادثة انتحاراً.

لقد سمع من أحد أجداده أن عمته مفيدة كانت قبل وفاتها تخبىء جنيهات ذهبية للزمن. فلجأ إلى السحرة لينقب عنها بين الجدران وتحت العتبة، حتى كاد البيت أن ينهار عليه وعلى أمه.

ثم عاود فاشترى كتباً علمية وبدأ يحضر الذهب فى حجرة خصصها له كمعمل بعيد عن عيون الناس، فاحترقت الحجرة لتفاعلات المعادن حتى كادت أن تحرقه هو الآخر لولا لطف الله!!.

وذات يوم وهو عائد من عمله اشترى كيساً من الـ "شيبسى" بالبطاطس ماركة "......................" من دكان بقالة بجواره بخمسة وعشرين قرشاً. ولما فتحه وجد بداخله كارتاً صغيراً مربعاً مكتوباً عليه: مبروك كسبت:

"كيس ذهب".

لم يتمالك نفسه من الفرحة وأخذ يتأمل فى الغلاف فوجد أن هذا المنتج الغذائى من شركة "..........." فى مدينة العاشر من رمضان، سأل صاحب الدكان: من أين أصرفه؟

قال له ضاحكاً: لا بد أن تسافر إلى القاهرة وتذهب للشركة لتحصل على الجائزة..

ألف مبروك.

وسافر ثروت بالقطار السريع ووصل إلى القاهرة وركب الأتوبيس إلى العاشر من رمضان ومعه الغلاف والكارت. مقبضاً عليهما بيده، بالرغم من أشعة الشمس الحارقة، وهناك قالوا له: إن هذه الشركة فى أى مكان من المنطقة الصناعية؟. أسرع أحدهم يقرأ الغلاف قائلاً: إنها فى المنطقة الثانية ولا أحد يعرف مكانها إلا هؤلاء أصحاب "الموتوسيكلات" ويلزم أن تتفق مع أحدهم على أجرة الذهاب والعودة فالاجرة عشرة جنيهات.

إن راتبه الذى قبضه بالأمس قد صرفه بالكامل .. قطار،

وأتوبيس وموتوسيكل، ذهاباً وإياباً. ولسوء حظه فوجىء بأحد المسئولين بالشركة وقد حدثه مبتسماً: إن كيس الذهب ما هو إلا عبارة عن منتج غذائى تحصل عليه من البائع بدلاً منه " كيس شيبسى" مكتوب على غلافه "كيس ذهب" وبنفس السعر..

ولما عاد وجد أمه "سميحة" فى انتظاره سائلة له: ماذا فعلت؟ أين الذهب؟ .

قال لها ووجهه مقتضب: مثلما سافرت رجعت، كل راتبى صرفته فى المواصلات ياترى كيف سنعيش يا أمى لآخر الشهر؟!.

نظرت إليه فى حزن وهى تقذفه بألفاظها الساخرة: رجعت يا فالح حنلاقى حظنا فين؟.

ثم أمسك بالكارت يمزقه ويدوس بحذائه الغلاف وقطع عهداً على نفسه أن لا يأكل " شيبسى" بعد اليوم، ومما زاده غماً أنه اتهم نفسه بالغباء، إذ كان يمكنه أن يتصل بتليفون الشركة المدون على الغلاف للاستفسار وما عاد يفكر فى الحصول على الذهب مرة أخرى، وأخذ يندب حظه لأنه كان يعيش فى أوهام.

نشرت بمجلة حواء عام ٢٠٠٦

مذبحة الكبرياء

عزيزى

أكتب لك رسالتى وأنت فى عالم أخر.. لعلنى أعتنق حرية الضمير لكى أنجو من خطر الإعدام الذى تسببه لى نقمة الكبرياء.

كيف أرى فيك صورة الله وحتى صورة التسامح، وقد انتقمت من أخيك فى البشرية ثم قضى عليك بأن يمزق جسدك إرباً لإحساسك بضرورة إحترام الكرامة؟!.

حصلت على درجة الدكتوراه فى علم النفس، ولم يعبك أن ارتديت جلباباً وذهبت إلى الحقل تجر وراءك بقرة حمراء مصرية ليس فيها مرض جنون البقر. ففى الصباح المبكر ذات صيف منذ عام مضى كانت السماء صافية، والهواء العليل يداعب الأشجار والنخيل فى الطريق الزراعى القصير، فتتراقص طرباً، حيث المروج الخضراء من حولك تعطى إحساساً للعندليب أن يغرد. وتتجمع الطيور المتنوعة من أبو قردان، ودجاج، وأوز، وبط، تستقى من مياه ترعة قريبة دون أن يؤذى بعضها بعضاً. منظر ريفى رائع يدعو للتأمل، لكن بذور الشر التى غرسها فيك والداك

الأمى غليظ القلب، حاد الطباع، نبتت وتكاثرت فاشتعلت من لهيب غضبك ليحترق فكرك ووجدانك.

أغلقت عيادتك النفسية فى قرية أبو المطامير لقلة المرضى الذين كانوا يترددون عليها، فاتكالك على إيراد متواصل من بيع المحاصيل الزراعية أجدى لك وأربح، هكذا كان فكرك، لم تستطع الطبيعة الصافية أن تغيره..

مسدسك لا يفارق جيبك.. وشاربك الذى يقف عليه الصقر كان مثار إعجاب الآخرين.. فقد أُعطيت السواعد القوية والقوام الممشوق لتفخر بنفسك على غيرك..

ولا تهتم بعبادة الله، ولن أزيد.

عزيزى

مر أخى من أمامك ليحييك تحية الصباح باسمك دون ذكر اللقب، فاعتبرته إهداراً لكرامتك .. وعاتبته بكلمات مهينة جارحة، ولم يستجب لرغبتك. تربصت به فى نفس اللحظة، فقتلته بمسدسك، وارتمى على الأرض غارقاً فى دمائه، وكان ذاهباً إلى الحقل مثلك، لا ليجر وراءه بقرة أو جاموسة. إنما ليلاحظ ويتابع العمال الذين كانوا يحصدون القمح، وحينما سمعوا دوى طلقات الرصاص على مقربة منه، هرولوا حاملين مناجلهم وفؤوسهم، فأمسكوا بك، ومزقوا جسدك إرباً انتقاماً

لقتل أخيهم البشرى.. هذا الأخ الذى لم يحظ بمؤهل أكبر لكنه وجد أماً تحنو عليه، فشتان بين عطف الأم وقسوة الأب فى معاملتهما له.أى جريمة قد اقترفها عدم النطق بـ"اللقب".

وفى ختام رسالتى هذه التى أكتبها إليك من عالمى الأرضى .. أرجو أن تكون إجابة لسؤالى.. ومع من أرسلها لك!..

ربى انقذنى من مذبحة الكبرياء!!.

ووداعاً يا عزيزى إلى الأبد.. لا لست عزيزى .. ولا تستحق "اللقب".

نشرت بجريدة الرأى عام ٢٠٠٠.

العاطفة

بالأمس كانت كل شيء فى الذاكرة وفى الحب.. فى لحظات الصدق كنت أجدها.. كانت تعايش حياتى ومشاكلى.. لم تعوضنى الأيام عنها .. زوجة مخلصة وأمينة قلما نجدها فى هذه الأيام، ومما زاد عاطفتى نحوها إحساسها بالأولاد وطلباتهم التى لا تنتهى .. فى الصباح كما فى المساء مصدر متدفق من الحنان والرزق .. ففى ذكرى عيدك أفتقدك الآن.

كبر الأولاد وتزوجوا من أسر طيبة .. عاطف وكامل وحنان .. سافروا إلى بنسلفانيا.. هجرة عشوائية، ومازالوا يعملون هناك فى هذه الولاية الأمريكية، ولم تفقدهم العاطفة اتصالهم بنا ودعوتنا لزيارتهم، وكنت وهدى قد تقدمت بنا السن .. سبعون عاماً والفارق بيننا خمس سنوات .. وكنا نتساءل: لماذا نسافر لرؤيتهم؟.. لقد وعدونا بالمجىء ونحن فى انتظارهم .. ألا يكفى كما تعودنا من حين إلى أخر أن نقلب صفحات الألبوم لنرى صورهم .. لكن ماذا نرى ونتذكر؟.

لا يمكن أن ننسى همومنا وضيقاتنا .. وما الذى يشجع على

السفر إلى دولة غنية ونحن فقراء وهى مهيمنة على العالم؟..

إننا نقلق ونخاف .. فما أحلى القناعة والتحرر.

فتحت إحدى صفحات الألبوم .. فوجدت صورة هدى وهى تحمل حنان على صدرها وعاطف وكامل إلى جوارها، وكان دقات قلبى وقلبها تحكى لحظات لا تنسى من الطفولة والحب الطاهر.

كنا نحتويهم .. يسرقنا الوقت ولا نهرب من البيت مهما تكن مشكلاتنا وهمومنا. كنا من عملنا فى الحكمة .. نكتفى برزقنا .. فهذه الجنيهات القليلة فى الزمن الجميل كانت بركة وتحمل معانى الذكريات والحب الكبير. فدعوات الوالدين واعتزازنا باكرامهما كانت أعظم ثروة. ودعوات القلب المحب والحنون تفتح ابواب السماء، وهى فى لحظات صدق نفتقر إلى البحث عنها فى هذه الأيام. فأمام القلب العظيم نودع الدموع والأحزان والآلام. ففى كل يوم يبدأ شريط الذكريات من جديد، فندعو وندعو لأولادنا بالتوفيق والاستقرار والرزق الحلال. فما أحلى الذكريات التى تجعلنا نعايش الحب الكبير بلا مقابل. وما أروع الأمل الذى ينتظر الرجاء.

نتابع قراءة الصحف لنعرف أخبار العالم، حوادث وكوارث، حروب وأوبئة ومجاعات، قتل وتدمير، احتلال واغتصاب للآراضى والفكر، فقد للحب والأمن والاستقرار والسعادة.

سطوة للماديات على الروحيات، فأصبحت السياسة العامة يتم توظيفها فى الدين فتتحطم قيم التسامح .. نتابع ونقرأ ونتألم ونطوى الصحف، وتمر الحياة مسرعة، ولا نتعلم الحب فلا راحة للبال. وتمر الأعياد والذكريات. وتواجه العاطفة تحديات.

ولم يحضر الأولاد فمع السنوات الطويلة منذ الطفولة والشباب وتركهم لنا. لم نقصر نحوهم فى تعليم، فى تربية، فى زرع الحب. فالحياة التى يتوجها القلب العامر بالحب لا تعرف غير السلام.

وعبر الزمان واتصالاتهم الهاتفية بنا، وعلى غير موعد فوجئت برجل البريد السريع يطرق الباب صارخاً: بوستة .. فريد مختار.

ففتحت وتسلمت منه طرداً يحوى صورة للأم "هدى" فى عيد الأم متوجة بعقد من الماس مدون عليها عبارة " فى عيدك يا أحلى الحلوين.. تهديك حبنا الكبير" فذرفت الدموع يعتصرنى الألم. فقد ماتت "هدى" بالأمس.. وكنت أرفض إبلاغهم بهذا النبأ الحزين..

أزمة قلبية مفاجئة أنهت حياتها.

ولم تقو العاطفة على أن تنسينى "كل حياتى" "نصف الدنيا" التى كانت تشاركنى عاطفتى والفكر الواحد.. فسارعت بإبلاغهم

وأوصيتهم بعدم المجىء .. وبعد أشهر قليلة أصروا على سفرى إليهم فسافرت وعدت بعد شهر إلى القاهرة الوطن الأم لأعيش بالحب والذكريات والعاطفة، ففى حضنك لا يعوضنى شىء.

نشرت بمجلة (نصف الدنيا) عام ٢٠٠٧

الفــرح

تعودت على زحام المشكلات التى لا نهاية لها. مجرد عودتى إلى منزلى بل فى وقت راحتى وفى كل وقت أستمع إلى صيحات الزعيق من كل جانب، من راديو صوته عال أو أغنية لا تريد أن تنتهى حتى يعيد المسجل إذاعتها من جديد وكلام فى كلام لا أعرف فهمه. ومهما طال وقته فله نهاية حتى لو امتد بضع ساعات ، لكن المهم هذا المسجل الآخر الذى لا ينتهى. وهذا قضاء الله وقدره دا الأولاد حصل منهم دى الجارة عملت كذا وكذا دا بائع الخضار كان يبيع بزيادة شوية والبقال ماكنش عنده الجبنة اللى بتحبها من غير ملح "خلصت" ويمكن بعد أسبوع أو يومين تكون عنده. وبعدين إيه حكاية أمك اللى مسكت التليفون ساعة ترغى. أنا نسيت أسلم عليها امبارح والواد ابنك النهاردة جزمته مقطوعة.. وضربته علقة علشان قلت له ما يلعبش كورة .. أنا بصراحة مش عارفة إيه حكاية الكورة مش كفاية التليفزيون وبيترك مذاكرته.. بأقولك إيه بعد ما تتغدى تبقى تنزل تشوف بطيخة علشان نحلى بيها أحسن لأنه ما فيش حاجة للتحلية بعد الأكل وإلا أقولك أدخل إغسل ايدك علشان أحضر لك العشاء .. طبعاً ما هو هذا طبيعى.

ولأنها أمية لا تعرف القراءة والكتابة تزوجتها لجمالها فكانت

العامية لغة الحديث بينى وبينها تكبرنى سناً وبيئتها عشوائية ولا تعمل .. بالنسبة لعملى أستيقظ صباحاً وحتى المساء فى عمل متواصل ويكفى انه فى أخر الدنيا ولكن إذا قلت هذا يكون الرد جاهزاً مش كفاية عربية تأخذك وتجيبك " إحمد ربنا" والحمد لله طبعاً ففعلاً سفر طويل بعد عناء العمل من المجهود العضلى والذهنى. تركتها ودخلت إلى غرفتى أقصد الحجرة الضيقة فى الشقة الصغيرة التى تحتوينا وفى الدور الخامس ويكفى طلوع السلالم ونزولها.

وحتى البلكونة الوحيدة التى تطل على شبابيك وبلكونات الشقق المجاورة مكشوفة على الآخر.

يكاد الجار أن يكون معنا فى الشقة، وممكن بسهولة يتم تبادل فنجان اللبن وكوب الشاى والبصل والملح ومتطلبات المطبخ من البلكونات..

إذ كان عملى فى العاشر من رمضان والمسكن بعزبة النخل.

ودخلت وغيرت ملابسى لكى أبتعد ولو قليلاً عن الثرثرة، والمشكلات التى لا تنتهى .. ولكى أحاول أن أخلو مع نفسى قليلاً، استعداداً لطبق الفول أو طبق العدس الوجبة المفضلة على مدار الشهر.. أما أوائل الشهر حيث أكون قبضت مرتبى، تكون شوية كفتة مع المكرونة.. أو قليلاً من السمك.. فتكون رائحة الشقة

كلها سمك مقلي.. وقلت بتحسر: يا دار ما دخلك لحمة، لأن سعرها غالى قوى .. والهانم لا تأكلها خوفاً من مرض جنون البقر).

ثم استرخيت على السرير الضيق اللى عليه مرتبة لم يتم تنجيدها منذ فترة طويلة. ونظرت إلى الدولاب الحلو الصغير اللى شايل ملابسنا، وبدأت آخذ فترة استجمام مع نفسى وراحة ليس لها ثمن .. أبتعد فيها عن ضوضاء العمل والمصنع وصوت الآلات ومشاكل الزملاء التى لا تحتمل. وبدأت فى النظر إلى حائط الحجرة الذى لم يعرف الدهان منذ فترة طويلة. وبدأت مرة ثانية أشعر بقليل من الهدوء، بعد أن تركتنى زوجتى الثرثارة إلى المطبخ لكى تعد لى العشاء، وقد فكرت لو كان يوجد "شهادة" .. فى النكد والثرثرة لكانت الأولى. وسرحت أحدث نفسى عن الهدوء الذى ليس له ثمن وراحة البال والأعصاب المرتاحة .. لكن لمن أقول؟.

نظرت إلى سقف الحجرة، وذهبت فى النوم، وقد كان حلماً جميلاً، فقد وجدت نفسى من جديد عريساً فى بدلة أنيقة وكرافتة حمراء أطول من الجاكت، وعروسة بجوارى فرحانة بى .. أتكلم معها ترد على بصوت منخفض لا أسمعه إلا أنا ..

ويا بختك .. قلتها لنفسى .. كل الجمال والحلاوة دى جانبك

.. إيه ده .. مش معقول .. لا .. أنا مش مصدق .. ده حتى صوتها لا أستطيع أن أسمعه.. ومددت يدى لكى امسك بيديها ولست قادراً على وصف جمالها وجمال يديها .. ثم قلت: يا سلام..

كل ده شعرها.. طويل قوى .. فى منتهى النعومة.

إنها تكاد ترتفع عن الأرض من حلاوتها.. كل ده بجانبى ومعى يا سلام .. تنظر إلى نظرات حب ولا تستطيع أن تبعد عينيها عنى .. إننى أراها .. وأناساً فرحانين حوالينا .. رقص وفرح وزغاريد.. ومهنئين وهدايا .. أشكال وألوان .. حتى رئيس مجلس الإدارة حضر بنفسه ليهنئنا وكل زملائى.

فعلاً عروسة كاملة الأوصاف لم أكن أحلم بها. بالطبع أحسن من الثرثارة اللى معاى..

سليطة اللسان .. ما فيش حد ما اشتكاش منها.. كفاية أنها نكدية ومعكننة علينا حياتنا .. وابننا صفوت فشل فى تعليمه الإبتدائى ويعمل صبى جزار.

وفى لحظة وجدت من يزقنى ويكاد يوقعنى من على السرير .. وصرخت قائلة: قوم علشان نتعشى .. كفاية نوم" .

وقمت لكى أستيقظ من الفرح.

نشرت بمجلة (نصف الدنيا) عام ٢٠٠٧

الماضى

تذكرت ما هو موجود أمامى بكثرة. كميات الطعام والفاكهة، الملابس والهدايا واللعب للأولاد. نظرت وتذكرت ذكريات ماضية من حالى وأليمة من أصعب أيامى، الفقر وقسوة الحياة.

كنت أعيش طفولة معذبة، أمشى مع أمى فى حوارى ضيقة ، لا أعرف غير ملابسى التى أحصل عليها بعد ان يتم استهلاكها من أفراد العائلة فى سنى، يتقدمون بها لى بعد أن يشتروا ويقتنوا الجديد. وقد تكون تمت حياكتها أكثر من مرة حيث تبقى من حظى لأسعد بها كثيرا. أما عن إفطارى وغذائى وعشائى يكون من أهل الحب. وعن الفاكهة فقد كان الحصول عليها بمنتهى السهولة من حدائق الجيران من شجر الجوافة والمانجو والتوت والبلح وخلافه. فاكهة حلوة وببلاش. مرت علينا أيام وذكريات مؤلمة، وعشت مع أمى على الماضى، اقتسمنا فتات الخبز وأكلنا بواقى الطعام، وكان دفء الشتاء فى حضنها الدافىء، ونسيم الصيف ينعشنى حينما تضمنى على صدرها الغالى أمى وحياتى. ولم أستطع أن أحبس دموعى الغزيرة وأنا أودعها لكى أذهب إلى بلاد بعيدة. فكرت مراراً أن أبعد نفسى عن فكرة السفر لكنى لم

أنته من مرحلة الإعدادية حتى بحثت عن الثانوية. لكن هيهات ما باليد حيلة. إنها الظروف القاسية والأيام الصعبة ، كنت أترقب من هم فى سنى يذهبون فرحين إلى مدارسهم ويعودون. أتساءل وقلبى يعتصر ألماً، أين مصاريف التعليم وهذه الديون الكثيرة؟.. أمى تمد يدها إلى الأقارب حتى تستطيع أن تسدد جزءاً منها، وتعمل على ماكينة خياطة لا تستطيع أن تسدد دفعاتها من الأقساط، وماذا تسدد إيه ولا إيه؟..

أتذكر عدم قدرتى عندما مرضت أن أشترى لها الدواء. فحصلت على ليمونة لكى أعمل لها كوب الليمون وأعطانى جارى برتقالتين فأخذتهما بحياء شديد لكى تأكلهما على حد قوله فيتامين (سى) لأجل البرد ..

وتذكرت هذه الأيام الحلوة والمرة معاً بما فيها ذكريات الماضى، وبكيت بكاء كثيراً. فقد كنت أنظر إلى الفاكهة بحب وهى فم جيرانى ومن هم فى مثل سنى كل الحب واللهفة..

واليوم أمامى .. أستطيع أن أطلب فقط لكى أجد أنواعاً من الفاكهة. ولكن ضاعت منى أحلى فاكهة فى الدنيا .. ضاعت منى "نصف الدنيا" وأحلى وأطيب حب وحنان لن أراه .. حنان الماضى الدفء، الطعام، العطاء والسهر .. أمى .. والآن أمامى ابنتى الغالية التى لم تعرف طعم المعاناة والفقر. كل ما تعايشت فيه

من صعوبات ومصائب، وأيام باردة بلياليها ونهارها .. لكم كانت قاسية ولا طعم لها. ءانها ذكريات حلوة الآن.

أمد يدى إلى ابنتى الصغيرة أحضنها وأقبلها. ففرحة الايام القاسية .. قد سميتها فرحة، وتركتنا أمها وأصبحنا اثنين كما كنت أنا وأى اثنين. سأبدأ من جديد، لا ولن اتركها لاحد غيرى. سأقوم بتربيتها ويساعدنى الله فى هذا المشوار الطويل أيضاً ..

ولكنى الان .. الصحة بدأت تشكو .. فقد تزوجت كبيراً لكى أفرح بهذه الفرحة التى أمامى. تكلمنى فى وحدتى وتلاعبنى فى صباح اليوم الجديد . تسألنى أسئلة كثيرة وأحتار فى الاجابة عليها وخاصة عندما تتكلم عن أمها، إنها فى السماء يا حبيبتى.

. قالت لى: يعنى ايه فى السماء يا بابا ولماذا لاتذهب اليها؟ ..

قلت لها: بعد عمر طويل..

وبدأت أحكى لها قصصاً وحكايات حتى نامت نوماً عميقاً. فشكلها الملائكى جعلنى أشعر بسعادة الدنيا لأنها طفلتى ولعبتى وهديتى.

حرمت من اللعب وأنا طفل وها أنا أتمتع بها فى شيخوختى .. فقد تجاوزت الخمسين. وهذه الصغيرة يا ترى سأفرح بها وهى مع عريسها ولا لما تنتهى أولا من دراستها. إنها حاليا فى المرحلة الابتدائية. إنه عمر طويل حيث تبقى مراحل. لكن الواحد عارف

عمره. ثم استيقظت من نومها ووجدت يدها الصغيرة تضعها على وجهى وتقول: بابا .. بابا .. عايزة أشرب ..

وأعطيتها كوب ماء لتشرب. ثم نامت مرة أخرى وغطيتها بغطاء واثنين وثلاثة.. وتذكرت أمى وحلاوة الفقر فقد كنا لا نملك غطاءً واحداً لكن الدفء والحنان فى حضن أمى حينما كانت تحكى لى وتقبلنى لن ينسينى أيامى وذكرياتى .. والآن قد أعطانى الله فرحة. صورة منك وملامح وجهك وطيبتك. فكما كانت تفعل أمى كان الحب بلا مقابل. وسرحت بعيداً عن الماضى، حتى استيقظت على صوت ملائكى يدعونى لكى أربط لها الحذاء. قائلة لى فى عجلة:

علشان لا أتأخر على ميعاد المدرسة يا بابا .. وعند باب مدرستها وجدت عينى تحرسها، وقلبى يدعو لها بكل الحب.

نشرت بمجلة (حواء) عام ٢٠٠٧.

الفستان

أسرتى مكونة من ثلاثة أبناء: مدحت وايهاب وسمير، وطفلة صغيرة اسمها سميرة. الكبير فى المرحلة الجامعية، وشقيقه الذى يليه فى المرحلة الثانوية، والصغير فى المرحلة الاعدادية. وأجمل من فيهم وأحلى الحلوين هذه الطفلة سماره ، هى لعبة فى المنزل الجميلة ، تجرى وتلعب وتبكى وتنادى: بابا .. ماما .. تيته. لكنها هادئة الطباع ، تذهب إلى المدرسة الابتدائية مع جارتها فتحية فى مثل سنها . وتتكرم أمها علياء مشكورة بأن تأخذهما وتعود بهما حرصاً عليهما، بالرغم من أن المدرسة لا تبعد منزلين عن بيتنا. وإذا كان أى أخ من أخواتها فى طريقه إلى الدراسة لا يتأخر عن قيامه بهذه المهمة. فهى كعادتها تستيقظ مبكرة وتبدأ فى الاستعداد، وأمها تقوم بتسريح شعرها.

وتحدث خناقات مع أمها لاجل التسريحة، قائلة لها فى عصبية: أنا مش عايزة فيونكة.. شعرى حلو وعايزاه ينزل ..

تجيبها أمها بعصبية أشد: إنت رايحة المدرسة .. مش فرح .. ثم كلام كثير مناهدات وزعيق وبكاء، وبعده تبدأ موضوعا آخر من الشجار عن الأكل للإفطار وشرب اللبن، مرددة كلمات: لأ .. وأيوه وخلاص ..

وأنتهز هذه الفرصة لكى أهرب قبل ميعاد خروجى من هذا البيت، عسى أن أجد المواصلات سهلة ، لأستطيع الوصول إلى عملى فى ميعادى. وبمجرد وصولى أنادى على سعيد الساعى، لكى أشرب قهوتى لعلها تمحو همومى!. إذ فى طريقى كنت أفكر فى أولادى ومستقبلهم ومصاريفهم، وهذه الأمورة الصغيرة التى أمامها طريق طويل، قائلا فى نفسى : يا ترى .. ياترى يا سعداوى ماذا تفعل؟!. إننى موظف بسيط ومؤهلى متوسط وفى حسابات البريد المصرى وساكن فى شقة حجرتين بالزيتون وزوجتى ربة بيت حالياً.

وبعد أفكار ورؤى، قررت أن أترك أمرى على الله وتوكلت ولم أعد أفكر فى أى شىء. إذ يكفى ما حدث لى، الأمراض حلت بى صغيراً فى الأربعين من عمرى اشتكيت بمرض السكر، وبعدها بسنوات بدأ مرض الضغط المرتفع يغزو جسمى دون استئذان. المهم أشكر الله وراتبى يكاد يكفى مع قرض استبدال المعاش الذى أخذته، يكفى بيتى مع زوجتى التى تركت عملها بناء على طلبى من بعد زواجى لكى تتفرغ لتربية الأولاد ورعايتهم ، طلبى لم أدرك خطأه إلا بعد أن وقعت الفاس فى الراس.

واليوم فكرت كل شهر أن أعمل مفاجأة لكل ابن . فلهذا

الكبير حذاء والأوسط قميص والثالث بنطلون . والأبناء قانعون ويعلمون أن الراتب محدود، ويمر شهر وأعوام تمضى مسرعة ويتخرجون ليعملوا ويتحملوا عنى عبء مصاريفهم. وكان تفكيرى فى المستقبل لا يبتعد عنى، وألقيت همومى على الله، وإذا الساعى ينبهنى بصوته: يا سعداوى الساعة الآن الثانية " قبضت راتبك" . قلت له: أه حقيقى .. وهرولت مسرعاً إلى الصراف الذى سلمنى راتبى وهو يقول لى: مخصوم منك أيام تأخير مبلغ قليل .. فقلت له: عقبال كل شهر يا سيدى .. وانصرفت وكأنه شامت فى وابتسمت ووضعت راتبى فى الجيب السحرى خلف بنطلونى بناء على تعليمات زوجتى. وتذكرت شراء فستان صغيرتى سأختاره بلون أحمر وعليه رسومات حلوة وكنت أعرف مقاسها. وفى طريقى قبل عودتى بحثت لها عنه فى محال عديدة وإذا بى أجد ملابس الأطفال بأسعار ملتهبة. هل من المعقول: فستان لطفلة فى الابتدائى بمئة وستين جنيها. ذهلت وأخرجت نظارتى فتحققت لأنى كنت أظنه بستة عشر جنيهاً ولم أر الصفر ربما، ثم فكرت أن أعود إلى بيتى وأذهب إلى عملى غدا لعمل جمعية مع زملائى بعشرين جنيهاًفترددت لأنها تنتظرنى به. وبينما أفكر ماذا أعمل؟. جلست على مقهى " الفردوس" بعد أن اشتريت لنفسى ساندويتش فلافل أكلته على مضض مع رشفة من

كوب الشاى الذى دفعت ثمنه. وسارعت أتجول فإذا بى أرى طفلة ممسكة بيد أمها مرتدية بنطلوناً أحمر وعليه رسومات حلوة. فأوقفتها وسألتها عن ثمنه ومكان شرائه. فأشارت إلى محل قريب، وقالت: بعشرين جنيها. ومن حسن حظى اشتريته بنفس مواصفاته وعدت سريعاً لأجدها فى استقبالى فرحة به. وقبل أن ترتديه قالت وهى تقبلنى: بابا.. بابا..

بنطلون حلو خالص.. ثم سألتنى: أنا مش قلت فستان.. قلت لها: إن شاء الله على العيد يا حبيبتى نكون قبضنا عيدية، ثم سألت أمها: حلو يا ماما.. قالت لها: حلو يا سميرة .. وعلى انفراد أفهمت زوجتى أن ملابس الأطفال مرتفعة الثمن وفستان طفلة بمئةوستين جنيهاً. قالت لى: ولماذا لا تشتريه لها ولو بالتقسيط؟ .. قلت لها: إنك تعرفين البئر وغطاه .. بنطلون فى الجنة ولا فستان فى النار .. فابتسمت وقالت: إنت حكيم، قلت لا .. أنا سعداوى.

نشرت بمجلة (نصف الدنيا) عام ٢٠٠٨

البيت السعيد

أعانى من مشكلاتى اليومية من تلوث بيئى وسمعى وصحى، ولا أدرى متى تنتهى! فالقصة وما فيها أنى أعمل فنى دوكو بمصنع بويات بشبرا الخيمة بنظام " الوردية" فترة مسائية. وأقطن بالدور الأرضى فى شقة متواضعة من حجرتين وصالة بشارع سعيد زيادة بالزيتون الشرقية.

وزوجتى نادية ربة بيت ولا تعمل. ولى من الأولاد سبعة أتوه فى حفظ أسمائهم وإلا أولهم كامل وآخرهم سميرة، منهم ثلاثة ذكور معوقين وأربع بنات فى مراحل مدرسية مختلفة ثانوى واعدادى وابتدائى. مرتبى يكاد يكفى الانفاق على أسرتى حيث كان صاحب ورشة سمكرة سيارات يطلبنى بين الحين والآخر، يدر على دخلا إضافياً. فالسبت يوم أجازتى الأسبوعية، وباقى الأيام أنام فيها صباحاً بعض الوقت لكى أعمل مساءً.

لكنى أفاجأ كل يوم بمشكلة أستيقظ لها مبكراً، صوت كيس من القمامة يرميه ساكن من دور علوى يطرقع على الأرض وتتبعثر محتوياته وأحياناً بروائح كريهة، صوت هائل وبشع من

بائع أنابيب بوتاجاز بخبطة بمفتاحه على الأسطوانة عشرات المرات. صوت بائع الفول والبليلة. صوت ينادى " روبابكيا" أصوات أطفال يلعبون الكرة قبل ذهابهم إلى مدارسهم. عربات مركونة تحت نوافذ مسكنى تنبعث منها روائح عوادمها أثناء تشغيلها بخلاف أصواتها. والمشكلة الأخرى هذه الخبطات الكثيرة فى جسمى من زوجتى وكأنها مصيبة قد حدثت بصوت زعيق لتوقظنى من نومى، قائلة لى تارة: تعال ساعدنى فى نظافة المنزل .. أو أقول لك: الأول تذهب لتوصيل البنات للمدارس وثانياً وأنت راجع تحضر لنا العيش والخضار والفاكهة التى يحتاجهم البيت .. وتترك فلوس لطلبات الأولاد .. وكل صباح يوم جديد أتحمل من زوجة سليطة اللسان سريعة الشتائم عديمة التفاهم، ما يجعلنى أهرب بسرعة قبل القيل والقال لأنقذ نفسى من هذه الدوشة. حتى فى يوم أجازتى إذا دخلت الحمام وجدته مزدحما، مسحوق الغسيل ملقى على الأرض والصابون بجانبه وملابس بالأكوام ومحتويات مبعثرة، تمنعنى أحياناً من دخوله لحلاقة ذقنى. ،وأقول لنفسى: غير ضرورى .. أنت تزوجت وخلاص .. غير مهم حلاقة الذقن .. ثم أسرع فى لبس القميص والبنطلون والصندل، لأنى لازم أعمل تهوية لرجلى، وخصوصاً الجو ساخن

وكنت لا أتحمل هواء مروحة السقف.فيكفينى ما أنا فيه، إذ تكرر أوامرها لى: إوعى لا تشترى ما قلت لك عليه.. وكنت أخشى أن أرمقها بنظراتى ولم تسمع منى أى إجابة.

وتذكرت حين كنت طالباً فى الثانوية الصناعية أعيش مع ستة من أصدقائى الشباب فى حجرة واحدة، وكيف كنا نعمل على تدبير معيشتنا ونتحمل مسئولية أنفسنا. فقد كنت يتيما ووالدى كان بائع ليمون متجولا، فقيراً لا يمتلك شيئاً، ووالدتى ظلمها شقيقها فلم يعطها حقها فى ميراث أبيها وكنت أعمل فى فرن بلدى مساءً، أتقاضى منه أجرى وأحصل على خبزى. ومع أنى الآن ومن قبل أحمد الله. فأشعر بأن أولادى الثلاثة المعوقين بلسم لشفائى مما أعانيه، فهم أيقونة حياتى وأحباب الله، بالرغم من أن إعاقتهم تمنعهم من أى عمل.

ولأن النوم سلطان.. كنت أميل إلى الراحة والهدوء وشرب اللبن لمقاومة ما يترتب عليه عملى من آثار صحية نتيجة لرائحة الدوكو وكانت ظروفى تفرض علىّ عدم الإرهاق والتقليل من الزيارات.

وذات يوم هدانى تفكيرى فى يوم أجازتى أن أدخل السينما، لكى أرتاح من البيت ومشاكله وضجيجه، وقلت:لا يهمنى خمسة

جنيهات أو عشرة. وبالفعل دخل معى رجل ببطارية وأجلسنى فى الكرسى الخلفى أخر صف، بهدف إضاعة الوقت والنوم، ولم أعرف اسم الفيلم، معقولة كأنى ألقى نكتة. وبدأت فى مشاهدة الإعلانات، فمنذ سنين لم أدخل سينما.

وكنت أكتفى بمشاهدة الأفلام فى التليفزيون وبالذات أفلام إسماعيل ياسين فى الزمن الجميل لكى أضحك وأستريح قليلاً. وقبل عرض الفيلم فوجئت بمن يحدثنى بجوارى قائلاً: يا أستاذ " اسم الفيلم إيه" أجبته: لا أعرف قال فى دهشة: داخل سينما ولا تعرف اسم الفيلم. ثم أخذت منه محاضرة طويلة: الفيلم اسمه" لا أنام" ويجب أن تكون مقتنعاً بالممثلين والمخرج والأبطال، وأخذ يحكى لى الفيلم ومشاهده. لكنى نمت نوماً عميقاً وساعدنى فى ذلك جو التكييف والبعد عن الزحام والمشاكل. وبينما انبعث منى شخير ليس له مثيل، فوجئت بجارى يوقظنى من نومى بهزة من يده وبصوت عال قائلاً: يا أستاذ .. يا أستاذ .. اصح .. الفيلم انتهى ..

فاستيقظت دون أن أرى الفيلم .. وبعدها تجولت فى المنطقة التجارية للفرجة على محلاتها من سلع مختلفة. ومن شدة الزحام إذا بامرأة بدينة تدوس على صندلى بكعب حذائها الرفيع عدة مرات، فتألمت له صوابع قدمى.

فقلت لها أنتهرها في عصبية: حاسبي .. إيه ده ..

فردت على ترمقني بنظراتها قائلة لي باستهزاء: حاسب إنت .. يعني أنا دست على رجل واحدة ست .. ولا إنت غاوي تعاكس..

فصمت ولم أنطق بكلمة لئلا يصيبني أكثر. وغادرت بعد السينما المنطقة التجارية .. لكي أعود إلى الهدوء والتلوث والبيت السعيد.

نشرت بمجلة (حواء) ٢٠٠٨

ضرير نعم .. فقير لا

بالرغم من ظروفى المعيشية الصعبة منذ الصغر وحتى الكبر، تعلمت من أبى فضيلة العطاء. ولم أحظ بتعليم أمى لوفاتها أثناء ولادتي. وكنت الوحيد الذى لم يرضع لبن الأمومة بقدر ما تغذيت من علب لبن الأطفال.

ففى شبابى وأثناء ذهابى اليومى إلى الجامعة حيث كنت أدرس بالسنة الرابعة بكلية الطب. اعتدت أن أرى المتسولين أمامها ينتظرون مرور أى شخص من أمامهم. حتى يتوسلوا إليه ليعطيهم نقوداً. فمن يعطيهم يدعون له. ومن يتجاهلهم يدعون عليه. ويلقون عليه بالشتائم أحياناً. وذات يوم كنت متجها إلى كوبرى الجامعة ولخوفى من مرور العربات الكثيرة بسرعة فائقة من أمامه. اضطررت لعبور هذا الشارع. حين رأيت شابا متجها نحوى. وكان مرتديا ملابس رديئة وقديمة، فاعتقدت أنه متسول: فكل من يراه يعتقده كذلك ولم تكن نظرتى أنا فقط. فتحت حقيبة كتبى لأعطيه نقوداً. وعندما اقتربت منه اكتشفت أنه ضرير، فمددت له يدى بالنقود، فاعتقد أننى أريد أن أساعده ليسير. لكن عندما لمس النقود فى يدى، أسرع بسحب يديه وغضب كثيراً منى .. ثم قال لى بصوت عال: ماذا تفعل؟ فقلت له: أعطيك نقوداً. فرد قائلا بغضب شديد: هل لأننى أعانى من عدم الإبصار وملابسى هكذا تعتقد أنى إنسان فقير

وأنى متسول؟! .. أحمد الله أننى لا أرى أمثالك من البشر الذين لا يعنيهم مشاعر الآخرين..

ويعتقدون أنهم يفعلون خيرا .. من فضلك إرحل من أمامى .. وقفت فى مكانى لم أقدر على الحركة مندهشا مما سمعته ولم أتخيل أننى أحمق إلى هذه الدرجة، لعدم استطاعتى التمييز بين الشخص العادى الذى كنت أظنه لمظهره فقيرا وبين المتسول الذى يسير فى الشوارع فى انتظار أن يعطف عليه أحد. ماذا فعلت؟!.. لقد جرحت مشاعر إنسان لم ينعم عليه الله بنعمة البصر، وبدلا من مساعدته ليعبر طريقه، اعتقدت أنه يريد نقودا وحكمت عليه بالفقر من خلال ملابسه القديمة التى يرتديها .. يا للهول وأى هول .. حاولت أن أعتذر له .. لكنه بادر بالرحيل.. وهو يقول: أحمد الله على ما أنا فيه .. ثم ذهبت إلى الكلية فى هذا اليوم وأنا حزين جدا على ما فعلت. ولم أستطع التركيز فى المحاضرة. فرآنى صديقى أحمد فسألنى: ماذا بك يا عامر؟ .. فحكيت له ما حدث، فقال لي: إنك لم تخطىء .. لكنه عن غير قصد .. كنت تقصد فعل الخير .. وبعدها قررت أن أنسى الموضوع ولا أحاول أن أكرره مرة اخرى .. عفوا أقصد أننى لن أكرره مرة ثانية.. فقد تعلمت درساً لن أنساه أن لا أنظر إلى المظهر الخارجى لايذاء مشاعر الآخرين، فما لديهم من عزه نفس وكرامة ومبادىء يتفوق على الفقر والثراء. ضرير نعم ... فقير لا.

نشرت بمجلة (القصة) العدد ١١٥ / ٢٠٠٨

وتقدرون .. فتضحك الأقدار

المهندس راغب عبد الله صاحب أغلب الأسهم فى إحدى شركات النقل ورئيس مجلس إدارتها كان قد اتصل منذ عام بطبيبه الخاص " دكتور نجيب حامد" واتفق أن يمر عليه فى عيادته بالطابق السابع بعمارة " إستراند" بباب اللوق بالقاهرة للكشف عليه ولم يأبه بإزدحام المرور ولا التوقيت المحدد التاسعة مساءً. فمن المرج الجديدة وصل بسيارته فى الميعاد، وكان الطبيب مشهوراً وبحجز سابق. وقد خصص عاملاً يقدم للمرضى المشروبات الغازية بالمجان إكراما لهم بين الحين والآخر. ومن خلال كاميرات مراقبة مثبتة بأعلى الحوائط، كان يباشر ويتابع صبرهم ومعاناتهم، وما تبثه أجهزة التكييف من برودة محتملة فى هذه الأمسية من أغسطس الحار فمعاملة المرضى عنده سواسية فلا كشوفات مستعجلة، وللمريض دوره. وكانوا يأتون اليه من محافظات بعيدة ولو كلفهم هذا المجىء ومبالغ فى المبيت بفنادق او لدى الأقارب أملا فى شفاء. كشف الدكتور بعناية تامة على المهندس راغب الذى يعتبر بنكاً متحركاً، ثم حدد له الدواء، بينما شدد عليه فى أخذ أجازة للراحة، وهو يؤكد له أن الأجازة بدون دواء أفضل من

الدواء بدون أجازة ، لكن المهندس راغب قال للطبيب انه لا يستطيع أن يأخذ أجازة فدهش وقال له: كيف يكون ذلك وأنت صاحب العمل، ولا يستطيع أحد أن يمنعك مما تريد؟!. فرد عليه بأن كونه صاحب الشركة يعنى أنه جب أن يكون أكثر العاملين انتظاما. وأنه لو أخذ أجازة فقد يهتز مركز الشركة فى السوق. قال الطبيب: أليس صاحب العمل معرضاً للموت؟!. فكان رده: أن الموت لا يضر بالشركة .. لأن الموت أمر لا إرادى .. لكن الأجازة فى هذا الوقت بالذات قد يفهم منها أن أحوال الشركة ليست على ما يرام فتسوء سمعتها .. أعاد الطبيب الكشف بعد أن استمر المهندس راغب على الدواء فترة .. ثم قال: إن الحالة تحسنت لكن بدرجة أقل مما كان يرجو .. وأخيراً أخبره الطبيب أن علاجه لن يتم إلا بإجراء عملية تعقيم. دهش المهندس راغب لأنه لم يتصور وجود ارتباط بين التعقيم وصحته، وعندما أبلغ زوجته السيدة آمال برأى الطبيب قالت: ولو أنى أثق فيه ثقة كبيرة .. لكن أطلب عمل "كونصولتو" للتأكد من ضرورة العملية .. فإذا ما أقرها فلا اعتراض لى عليها. ولكن المهندس راغب خشى من تفشى الخبر، فأكد له الطبيب أن الأطباء الذين سيختارهم لن يتسرب منهم أى سر، طلب المهندس إعطاءه أطول مهلة ممكنة، وفكر مع زوجته

أن يستحثا ابنهما الوحيد " جمال" على الزواج من الآنسة نوال حافظ، فإذا أنجب منها اطمأن الأب وأجرى عملية التعقيم لكن الابن لم يتجاوب مع والديه، وأوضح لهما أنه لا يرى داعياً للعجلة فى الزواج، كما أن له الحق فى أن يتخذ قراره فيه دون أى تدخل .. وقد أقره والده على ذلك. وورد فى الصحف نبأ عن انشاء بنك فى أمريكا لحفظ السائل المنوى للرجال الذين ستجرى لهم عملية التعقيم، حتى لا حرموا من الإنجاب بعد التعقيم .. وعندما أبدى المهندس خشيته من أن يحدث خطأ، قال له الطبيب. إن هذا أمر مستبعد تماماً. وقد سافر المهندس وزوجته لإجراء العملية فى سرية تامة بعد أن احتفظ بقدر من سائله المنوى. ولما عاد إلى مصر، لاحظت الزوجة بعض التغيرات على زوجها، تتمثل فى بروز ثديين ونعومة جلده ورقة فى صوته، وكانت الزوجة فاضلة فتقبلت كل ما حدث برضا، شأن أى زوجة محبة لزوجها. كما كانت مفاجأة سعيدة لهما بعد عودتهما من أمريكا، أن ابنهما قد أعجب بالآنسة نوال، وكان هذا مقدمة للحب الذى انتهى إلى الزواج الذى سعد به الوالدان كما سعد به جمال ونوال. وعندما حملت نوال، حمد راغب الله ، إذ لم يعد به حاجة إلى السائل المنوى المحفوظ فى أمريكا خاصة ولم يكن مستريحا للفكرة من

البداية وعندما قال راغب: أتمنى لو يرزق جمال طفلاً ذكراً. قالت آمال: لا نكن طماعين وقد أعطانا الله الكثير.لكنها كانت تفضل فى قرارة نفسها أن يرزقا بولد. تحققت أمانيهما فى قدوم طفل جميل أسموه " طارق" وبهذا انتهت كل مخاوف المهندس راغب، كما أصبحت صحته على خير ما يرام. وكان قدوم طارق فاتحة خير ليس على والديه وجديه فقط ، ولكن على جميع العاملين بالشركة الذين أُعطوا منحة كبيرة لهذه المناسبة ، كما أقيمت حفلة كبرى دُعى إليها الكثيرون ، وشملت الفرحة الجميع، وكانت الأسرة السعيدة قد رتبت لقضاء أجازة سعيدة بعد أن تحققت آمالهم إذ أن الشركة قد سجلت أرباحاً كثيرة وسافروا إلى مصيفهم بسيارة كان يقودها جمال : وبينما هم فى قمة السرور إذا بسيارة نقل ضخمة تصطدم بهم فتقضى عليهم جميعاً. وعندما طالع الدكتور نجيب النبأ فى الصحف قال بعد أن شعر بأسف عميق لمصير أسرة كريمة: "وتقدرون .. فتضحك الأقدار"

نشرت بمجلة (حواء) عام ٢٠٠٧.

أنظر إلى السماء

تذكرت الأيام الماضية وجلست أفكر .. هل كانت حقيقة مظلمة أم مجرد خواطر فى ذهنى تمر هكذا عابرة؟ .. لكن بعد أن تعبت من التفكير .. بدأتَ أسير فى حجرتى ذهابا وعودة .. وأنظر حولى شارداً فى كل مكان .. نظرات قاسية حزينة.

نعم " إنه مكتبى" ثم أيضاً هذا هو دولابى القديم، والصورة .. إنها أغلى ذكرى موجودة. تأملتها كأنى أراها لأول مرة. منظر جميل كنت أعتز به، ومازلت. إنه منظر السماء الصافية زرقاء .. وسحابة. عندما تنظر إليها تجدها تكلمك. فعلا فكل من يراها، يحس بإحساس غريب من التهيؤ .. وكنت قد اشتريتها من بائع .. وشدنى انتباهى إليها..

ألوانها الجميلة، وتعبيرها الهادىء الساكن.

فهى تحمل معانى عميقة من السكون والهدوء.

و .. وإذا بابنى الصغير يدخل الحجرة. نظر إلىّ. لكننى كنت فى لحظة مناجاة مع نفسى.

وأراد أن يثير انتباهى. فأمسك بيدى ونظرت إليه بعطف، وقال: بابا .. فلم أرد عليه.فكرر النداء .. بابا .. بابا..

ثم وضعت يدى على كتفه الصغيرة، ولمسته بحنان الأب، ثم قال :

لماذا لا تهتم بهذه الصورة؟.

وابنى هذا عمره تسع سنوات. وقد تعودت أن أعامله كأخ لي، وأتكلم وأتفاهم معه فى كل الامور، نتناقش سوياً ونجلس معا كأصدقاء. وعندما يسألنى أكون صريحا معه.

ثم سمعته يكرر نفس السؤال: لماذا لا تهتم بهذه الصورة؟.

بل إنك تهتم بأشياء كثيرة فى حجرتك .. هذا المكتب .. السرير .. الدولاب .. فقد مضى عليهم الزمان .. وبمقدروك أن تشترى غيرهم وأحسن منهم بكثير .. فيجب عليك أن تبيعهم وتقتنى ما هو جديد..

قال: إنى لا أعترض على الجديد .. لكن .. لكن ماذا؟ .. لا شىء ثم نظر إلى كأنه يريد أن يسأل ويستفسر عن المزيد. لكنه آثر الصمت والهدوء. وجلس بجانبى، وقد تركته وسرحت بعيداً. وتذكرت الظروف والأيام الماضية. إن هذا الدولاب كل شىء عندى، فهو الشاهد الوحيد على ذكرى الأيام التى مرت بى، وأيضاً كل شىء أعتز به. لقد كان الفقر هو الصبر والتحمل .. ولم أقاس من الفقر بقدر ما قاسيت من الجهل .. لكن الفقر علمنى الكثير من الصبر.

ولما سألت نفسي: كيف سأستمر هكذا، وهل الحياة أيام قاسية .. متواضعة .. وأيام هادئة نوعاً؟ ..

وجدت نفسى فى أول طريق الهدوء .. وتعلمت بالمدرسة ونجحت وتعلمت فى الحياة ونجحت أكثر.

.. وإذا بى .. أسمع صوت ابنى يكلمنى من جديد .. إنى مسرور بالدراجة التى اشتريتها لي. ولذلك جاء إلى .. اقترب منى .. ووضع قبلة على رأسى. وفكرت أيضاً عندما كنت فى مثل سنه .. كنت طفلا، وعندما أردت أن أشترى شيئاً، كنت اشتريه فى حلم من أحلام اليقظة.

كنت أنظر إلى الأولاد فرحين .. وأنظر إلى السماء .. كنت أكلم الله. ليس بفمى بل بقلبى ..

يعلم الله بى .. قبل أن أتكلم.

لكن فرحة الأولاد كانت تفرحنى وأنا أشاهدهم .. وكنت أعود إلى حجرتى وأسمع إلى الخلاف بين أبى وأمى .. عراك وزعيق .. وضوضاء ليس لها نهاية غير النوم. وتبدأ من جديد مع صباح يوم جديد. سلسلة مستمرة بدون نهاية، وتعودت على ذلك.

وقد كان هناك أسلوب أخر من التفاهم معى وهو الضرب بدون أى سبب لذلك، بل لمجرد التربية، وذلك على أتفه

الأسباب .. مما ملأ قلبى الخوف من كل شىء، من جميع الناس.

وكنت أخرج من البيت إلى أى طريق .. المهم أسير لكى أبحث عن الهدوء، وكنت أفرح بوحدتى وأعود فى صباح اليوم التالى، أو أمكث مدة طويلة عند الأصدقاء .. أى صديق .. المهم الهدوء. فكرت فى صورة السماء، لأنى نظرت إلى السماء، وشكرت الله، اليوم: شهادة .. زوجة .. ابن .. هدوء واستقرار.

ثم سألنى فى رقة: بابا.. ماذا؟ .. ولم يكمل سؤاله .. فأمسكته بحنان ثم أكمل سؤاله:

اشتريت دراجة عندما كنت صغيراً؟.

ضحكت ونظرت إليه .. وقلت: كل ما تريد أطلبه..

فقال لى: سأطلبه منك طبعاً..

نظرت إليه ثم قلت له: يجب أن تطلبه من الله.

قال: كيف؟..

قلت له: أنظر إلى السماء.

نشرت بمجلة (القصة) العدد ١١٣ / ٢٠٠٧.

ناكرة فضله

كانت " أم السعد" تقطن فى منطقة الخصوص، بلغت من الجمال والرقة ما لا يوصف. متزوجة منذ عشرين عاما من عادل فنى تكييف وتبريد، تقاسم عمر زواجه ليعمل فى دبى فى مهنته بشركة الأمير للثلاجات ومازال يكتسب الكثير، علاوة على ما ورثه من جده فى قنا بالصعيد عشرون فدانا من أجود الأراضى الزراعية تدر عليه إيجاراً كبيراً. لكن مشكلته أنه لا ينجب ولم تجد أية محاولات، فما يرسله من أموال وهذا الإيجار تستحوذ عليه" أم السعد" وفتحت حساباً به باسمها فى بنك مصر، وكل هذا لا تتمتع به، فالجلباب الأسود الذى ترتديه للخروج لا تبدله إلا ببيجامة أثناء النوم.

وقد خطر ببالها أن تشترى قطعة أرض مئة متر فى القلج وكان لها ما أرادت وبنتها منزلاً من ثلاثة طوابق، والذى ساعدها فى ذلك تجولها على المساجد والكنائس والجمعيات الأهلية والهيئات الخيرية. مدعية الفقر والمرض وأن زوجها تخلى عنها ولا تعرف له مكانا ولم يراسلها ولا يتصل بها. وبحاجة إلى أن تعيش بالحلال والشرف، واستطاعت بالرغم من أميتها أن

تساعدها إحدى الهيئات بمشروع لتربية الدواجن، وحصلت على إعانات شهرية ومساعدات تصل إلى ألوف من الجنيهات. مستغلة بير السلم مسكنها المؤجر بالخصوص وهو عبارة عن حجرة لا توجد بها إلا بطانية وكرسى وملابس بالية مقراً لمن يبحثون حالتها، لكى يكون مؤشراً للتعاطف معها ودليلاً على احتياجها ومعاناتها، وذات يوم لجأت إلى أحد المزورين بتقاضيه مبلغاً فكانت تحمل بطاقتين شخصيتين لها : الديانة فى إحداهما "مسلمة" أما الأصلية فـ "مسيحية" والذى ساعد المزور أن حرر لها اجراءات بدل فاقد فكتب فى خانة الديانة "مسلمة" وتسلمتها كما تبغى.

وتمر أعوام و "أم السعد" لو تقابلت معها أسر معانة رجل أو امرأة، تشكو لهم احتياجها، وأحياناً تأخذهم لمسكنها الحقير، ليكونوا شهود إثبات لحالتها أمام الذين يساعدونها.

ثم يموت الزوج " عادل" فى انفجار مفاجىء دمر الشركة التى كان يعمل فيها وتم دفنه هناك. ولما كانت بطاقته العائلية مستخرجة من بلدته قنا، تم إخطار " أم السعد" بوفاته. ولم يجدوا أحدا فى بلدته سوى " محمود" الذى كان ومازال مستأجرًا أرضه ليتسلم الإخطار ليبلغه لها متصلاً بها على تليفون منزلها الخاص، قائلاً فى حزن: البقية فى حياتك يا "أم السعد" .. عادل

مات .. فى انفجار وأبلغتنا السفاره وتم دفنه هناك .. واستلمت الإخطار بدلاً عنك .. ولا تزعلى وفلوس الإيجار التى كنت أرسلها مع شقيقى " أحمد " سيستمر إرسالها معه..

قالت له: إيه رأيك " عاوزة أبيع الأرض " كم تساوى؟

قال: بسعر البلد " الفدان بعشرة آلاف جنيه .. يعنى ثمنها مئتا ألف جنيه ".

قالت ولم تساوم: على البركة .. أرسل ثمنها مع أحمد لأوقع على عقد البيع النهائى ..

قال: مبروك يا " أم السعد " ..

ودون أن تذرف دمعة واحدة على رحيل زوجها، وبعد خمسة أيام قبضت ثمن الآرض وأودعته فى حسابها الخاص ببنك مصر، وبالتالى لم يكن همها سوى اكتناز الأموال دون أن تنفقها لتتمتع بها أو تستخدمها فى الإنفاق على أوجه الخير لإسعاد المحتاجين..

وبينما " أم السعد " تأكل دجاجة بيضاء من مشروعها الذى سأعدتها به هذه الهيئة الخيرية، انتابتها أعراض مرض إنفلونزا الطيور، ومكثت بالمستشفى الأميرى مدة دون جدوى فى علاجها، إذ بعد أن أصيبت كل دواجن المشروع بهذا المرض ونفقت، ماتت " ام السعد " حتى دون أن تستمع لنصيحة امرأة من كارها أن تدخل

مستشفى خاصاً أو تسافر للعلاج بالخارج. ولم يكن لها وريث ولا لزوجها وريث.

قالت محدثتى هذه المرأة وتدعى "أمينة" وتقطن بجوارها فى الخصوص وهى يتيمة، وتتقاضى من جمعيتنا الخيرية مساعدة شهرية: إنى لست مثلها .. بمصاحبتى لها بالمستشفى باحت لى بسرها، فهى لا "أم السعد" ولا حاجة "أطاعت الشيطان وخسرت نفسها .. وأمام الله تستحق ما حدث لها فهى "ناكرة فضله".

قلت لليتيمة أمينة فى دهشة ثم ماذا بعد؟!..

قالت لي: قمت بتسليم دفتر حسابها إلى البنك والذى كانت تحتفظ به فى صدرها .. وتوجهت للهيئة الخيرية التى عملت لها مشروعها ومكنتهم من منزلها ليستخدموه فى أوجه الخير .. بعد أن حكيت لهم قصتها..

قلت لها: حسناً فعلت" إنك جميلة " ألا ترغبين فى الزواج؟..

قالت لى: لا أريد .. سأظل يتيمة ومع الله غير "ناكرة فضله" وتدخلت لعمل مشروع لها ماكينة خياطة لدى جمعيتنا "وقد كان" لتعيش بالحلال والشرف".

نشرت بمجلة (نصف الدنيا) عام ٢٠٠٨

هروب النصف الآخر

دلفت من الباب الخارجى إلى فناء جمعية أبناء الدويقة الخيرية. رآها تمشى تتراقص بجلبابها الأسود. تداعبها نسمات الربيع. ناصعة البياض، ممشوقة القوام، وبيدها اليسرى "أجندة" خضراء. ولما وجدته جالساً أمام منضدة، توقفت عن سيرها، قائلة له:

صباح الخير .. أنا "سميرة" من الدويقة..

ثم عادت تسأله بابتسامة خفيفة: أستاذ "عادل"؟.

التفت إليها وسارع يجيبها، وقد ارتسمت على محياها علامات حزن صامت حين لمست يدها يده ثم جلست على كرسى بجواره، قائلاً لها فى دهشة:

نعم.. أى خدمة .. صباح الخير .. أتعرفيننى ؟!..

قالت وهى تهز ساقيها ونظرات عينيها الخضراوين تفحصه من أعلى إلى أسفل:

أريد شيئاً من هذه الأغذية..

قال لها دون تردد أو تأثر:

إنها نصيب عائلات فقيرة تأخذ مساعدات شهرية من

جمعيتنا المشهرة .. وهذا السجل الذى أمامى به الأسماء وعدد الأفراد والكميات .. فكيف أعطيك نصيباً وأنت لست منها؟!..

ابتسمت فابتسم وأمسك " أجندتها" دون استئذان منها يقلب صفحاتها قارئاً ما فيها فاندهش وصدم صدمة كبيرة. حين تبين له أن ما تجمعه هذه المرأة من محسنين وجمعيات أهلية وروابط خيرية من مساعدات شهرية ما قيمته ثلاثة آلاف من الجنيهات شهرياً!.

أعطاها " الأجندة" ليتأملها وليقيم معها حواراً ثم سألها فى لهفة يمطرها بأسئلة:

هل لك زوج وأولاد؟ .. وماذا يفعلون؟.. وكيف تتعايشون؟ .. وأين تقيمون؟..

أجابته وهى ترمقه بنظرات غريبة قائلة:

ليس لى زوج .. تركنى منذ سنوات .. لم يكن موظفاً .. كنت على خلاف معه ولا أعرف له مكاناً .. كان ينفق على وعلى أولادى من إيراد اكتسبه من لعب القمار لأن الله أعطاه حظاً من هذه اللعبة!.. وأولادى خمسة بنين وبنات بالمدارس والجامعات .. أبى وأمى ماتا منذ وقت قريب.. ولم يتركا لى - كزوجى - مالاً أو عقاراً نتعايش منه .. أنا مريضة بالحساسية والروماتيزم .. لا أعرف القراءة

والكتابة ولا أستطيع أن أعمل .. وبعد انهيار هضبة المقطم، فقدت بطاقتى القومية وأوراقى وأولادى الخمسة ماتوا فى هذه الكارثة. ونجوت من الموت بأعجوبة إذ قبلها بساعة تلقيت مكالمة تليفونية من أمل صديقتى تدعونى لحفل زفافها الأسبوع المقبل .. أنا من الدويقة وعلمت أن جمعيتكم ومقرها الآن بالدراسة تقوم بقيد العائلات للحصول على مسكن وأغذية ومساعدات، أنا أقطن مؤقتاً مع صديقتى فى شقتها بمدينة الخانكة بشارع المحكمة رقم (22) وأرجو زيارتى فوراً ولوحدك .. لأنى أريدك لحل مشكلة مهمة لا مجال للتحدث عنها هنا.

ثم عادت تلح عليه بزيارتها فى نفس اليوم مساء .. وذهب عادل إليها خائفاً قلقاً تنتابه أفكار غريبة .. حاول جاهداً السيطرة عليها. وبمجرد أن لمس جرس الباب، فتحته تمد يدها تشد على يده محيية ضاحكة. ثم أغلقت الباب وقادته إلى حجرة صالون فاخر، ولما سألها عن صديقتها التى تقيم معها، قالت مبتسمة:

لا يقيم معى أحد..

وأجلسته مسرعة فقدمت له مشروب ليمون مثلجا فشربه وجلست بجواره تداعبه بكلمات لا تستحى منها، تخدش الحياء وتؤلم الأحساسيس. فما ارتدته من فستان خليع شفاف كشف عن

مفاتن جسدها .. يجعل الشيخ يسيل لعابه لجمالها.

وأدرك من أول وهلة معدن هذه المرأة وما تريده. إنها لا تتسم بالوقار "ضائعة" وعابرة سبيل..

وعندما بادرها بقوله مسرعاً ليغلق عليها جرأتها وما تفكر فيه:

ما المشكلة المهمة التى ترغبين فى التحدث معى عنها؟!.

قالت وهى تجذبه من ذراعه تقوده إلى حجرة نومها وكما تريد: لعلك تسترخى بعض الوقت .. لا مشكلة لى .. لا زوج لي.. لا أولاد لى ..

فبإمكانك أن تعوضنى كل شىء ..كل البشر يعشقون الحب والمال والجنس .. إننى أحببتك .. ألا تبادلنى حباً. إن لم تخلع ملابسك وترتدى هذا الجلباب وتسترخى معى سأقتلك .. أى صوت أو حركة ستكون فى عداد الموتى.. أريد شقة ومساعدة

وبينما هى تلتمس جسده لتحقيق رغبتها، وقبل أن تغلق باب حجرة نومها، لمح على منضدة فى ركن بالصالة مسدساً ومفتاح الشقة وتوسل إلى الله أن ينقذه من حبائل الشيطان .. فلن يترك نفسه ضائعاً ..ساقطاً مثلها!.. وإذ بفكرة تخطر على باله، قال لها يطمئنها:

أرجو أن تعدى لنا طعاما ..سأبقى معك .. لن أتركك وحيدة.

ففرحت وهرولت إلى المطبخ لتعد طعاماً .. وكان أثاث الشقة فاخراً ومكونة من ست حجرات قال فى نفسه: ربى .. هل أنا أخطأت المكان؟!.. إننى أصلى وأصوم ولى زوجة وأولاد وأعمل الخير .. ولست بموعود لأمر بتجربة..

وفجأة سمع عادل صوتاً حانياً عطوفاً، صوتاً لم يسمعه من قبل، يزلزله من أعماقه يقول له:

لا تخف لأنى معك..

أغلق عليها باب المطبخ .. أخفى هذا المسدس بعيداً .. وافتح باب الشقة الخارجى واهرب إننى أحبك.

ودمعت عيناه، وأصابت جسده قشعريرة شديدة، وفعل ما أمره به الصوت. تركها وطعامها. ولم يكن جائعاً.

نشرت بمجلة (نصف الدنيا) عام ٢٠٠٩.

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر

(مورافيتلى سابقاً)

ت: 23904096 - 23952496

"تستوحي القصص حياتنا المصرية المعاصرة بإيجابياتها وسلبياتها الكثيرة بحيث يمكن اعتبارها رؤية نقدية سواء في مستوى التعامل بين الشحصيات أو الفضائل الاجتماعية التي تتحرك فيها. كما تختتم قصة "البيت السعيد" بوجه خاص بروح الدعابة. وعلاقات التراحم والتعاطف بين جيلي الآباء والأبناء على نحو ما نقرأ في معظم قصص المجموعة في مقابل الإغواء. فهنا يقظة إبداعية لكاتب متفرد يجب أن تقدم لقارئ يقظ محب".



www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

